



الملخص:

اشتهرت حواضر بلاد المغرب الأوسط بالتراث المادي واللامادي، ومن بين أهم معالم التراث المادي الذي خلفته مدن المغرب الأوسط العمارة العسكرية بمختلف أنواعها وأشكالها، فلا تكاد تخلو مدينة من مدن المغرب الأوسط إلا وتوجد فيها بقايا التراث المعماري العسكري من حصون وأسوار وقلاع وأبراج والتي تدل على أن سكان المنطقة أولوا مجال الدفاع عن مدنها أهمية بالغة. ومن أشهر حواضر بلاد المغرب الأوسط الغنية بالتراث المعماري العسكري، توجد: بجاية عاصمة الحمّاديّين، وتلمسان عاصمة الزيانيين، فبحكم أهمية هاتين الحاضرتين فقد رُصد فيهما العديد من بقايا التراث المعماري العسكري وما زال بعضها قائم إلى اليوم. الكلمات المفتاحية: حواضر المغرب الأوسط، بجاية، تلمسان، العمارة، التراث العسكري، الأسوار، القلاع.

Abstract

The major and minor cities of the Central Maghreb are famous for their material and intangible heritage. Among the most important material heritages left by the cities of the Central Maghreb is military architecture in its various types and forms. There is hardly a city in the Central Maghreb that does not contain the remains of the military architectural heritage of forts, walls, castles and towers, which indicate it's The inhabitants of the region gave the field of defense of their city great importance. Among the most famous cities of the Central Maghreb country, which is rich in military architectural heritage, there are: Bejaia, the capital of the Hammadids, and Tlemcen, the capital of the Zayanid. Due to the importance of these two cities, it was lost. Many remains of the military architectural heritage were discovered there, some of which still exist today.

Keywords: Central Maghreb, Bejaia, Tlemcen, military heritage architecture, walls, castles

التراث المعماري العسكري لحواضر بلاد المغرب الأوسط بجاية وتلمسان أنموذجا - دراسة تاريخية أثرية -

The military architectural heritage of the cities of central Maghreb: Bejaia and Tlemcen as an example – Historical archaeological study

حسام صلاحي / باحث دائم في المركز
الوطني للدراسات والبحث في التاريخ
العسكري الجزائري

(الجزائر)

المؤلف المرسل:



مقدمة:

تمتعت حواضر بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) بالعديد من عناصر التراث المعماري العسكري، فلا تكاد تخلو أي مدينة من مدن هذا القطر الجغرافي إلا ورُصد فيها العديد من بقايا التراث المعماري العسكري، وخاصة المنشآت الدفاعية منها، وهذا ما يدل على أنّ الجيش الجزائري عبر تعاقب الأجيال كانت عقيدته دفاعية بالأساس، فنجد أنّ كثيرا من حواضر بلاد المغرب الأوسط واجهت حصارا شديدا، وبفضل متانة العمارة التراثية العسكرية الجزائرية خاصة مدينة تلمسان التي تعرضت في العديد من المرات للحصار، فقد نجحت الحصون والتحصينات العسكرية في صدّ هجمات العدو، فحق لنا دراسة هذا التراث العسكري المميز. وعليه، فسترصد هذه الدراسة جزءا التراث المعماري العسكري لبعض حواضر المغرب الأوسط، ثمّ تعمّق البحث حول العمارة العسكرية لكلّ من بجاية الحمّادية وتلمسان الزيانية، وتبرز دور هاتين الحاضرتين في صدّ هجمات الأعداء لتختتم هذه الدراسة بمقارنة بين التراث المعماري العسكري بين بجاية وتلمسان فقد رُصدت بعض من أجزاء العمارة المشتركة بينهما.

(1) التعريف بالتراث العسكري المادي

تعريف التراث لغة: هو ما يخلفه الرجل لورثته، والتّاء فيه بدل من الواو¹.
التراث اصطلاحاً: عُرف التراث بعدّة تعريفات، فالتعريف الواسع له هو كلّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فالتراث هو كلّ ما تركه ورثة السلف للخلف، أو الجيل الذي مضى للجيل القادم من ماديّات أو معنويات أيّا كان نوعها، ويشمل بذلك كلّ المخلفات التي تركتها الدّول².
التراث المعماري العسكري: هو كلّ ما خلفته الدّول من بقايا العمارة العسكرية كالحصون³ والأسوار⁴ والقلاع⁵.

(2) رصد التراث العسكري لحواضر المغرب الأوسط

عرفت حواضر بلاد المغرب الأوسط العديد من مخلفات العمارة العسكرية ومن أشهرها الأسوار، وقد دلّت المصادر التاريخية على أنّ كلّ مدن المغرب الأوسط كانت محاطة بأسوار، سواء المدن الساحلية أو الدّاخلية، فوهران على سبيل المثال أشارت إليها الكتب الجغرافية والرحالة أنّ "سورها من تراب"⁶، وشهد الإدريسي بأن سورها متقن البناء⁷.

ولم يقتصر تحصين المدن في الفترة الإسلامية، فالعديد من مدن المغرب الأوسط كانت محصّنة قديما في عهد الرّومان والبيزنطيين، ومن ذلك مدينة "أرشقول" وهي مدينة قديمة عليها سور صخر⁸. وكانت مدينة نقاوس أيضا من المدن المحصّنة قديما: "ومدينة نقاوس مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزليّة"⁹ وحتى تاهرت فقد حُصّنت قبل اتّخاذها عاصمة للرّستمين "فالقديمة منهما ذات سور على قنّة جبل ليس بالعالى"¹⁰، وأمّا تاهرت المحدثّة "لها سور صخري"¹¹.



واعتبرت تنس من حواضر بلاد المغرب الأوسط الأكثر تحصينا، فقد جاء عن الإدريسي قوله: "ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح وعلى ميلين منه وبعضها على جبل وقد أحاط بها السور وبعضها في سهل الأرض وهي مدينة قديمة أزلية عليها سور حصين وحظيرة مانعة"¹². وقيل في هنين أيضا: "وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحو البحروهي عامرة عليها سور متمن"¹³.

وهناك من مدن المغرب الأوسط ما كانت محصنة بأسوار إلا أن ظروف الحرب أدت إلى تهديم أجزاء مهمة من حصونها وأسوارها مثل ما حدث لمدينة سطيف لما تعرضت للهجوم الفاطمي على حسب ما أورده البكري: "مدينة سطيف، وهي مدينة كبيرة جليلة أولية كان عليها سور خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي لأنها كانت في الأول لكتامة غلبتهم عليها العرب، وكانوا يعشرونهم إذا دخلوها، وهي اليوم دون سور لكنها عامرة جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار"¹⁴. وقد أعيد بناء سور سطيف حسب ما جاء عن الحميري لما قال عن سطيف: "سور صخر عظيم قديم"¹⁵.

تعدّ مليانة من المدن الجزائرية الأثرية¹⁶، ففيها العديد من المعالم الأثرية التي تعود إلى العصر القديم¹⁷، ذهبت جل المصادر إلى أن مليانة بناها الرومان¹⁸ ثم جددت فيما بعد¹⁹، أحيطت مليانة بأسوار عالية وقديمة في غاية الحصانة، كما حوطت أيضا بالصخور من جهة الشلف، وبمنحدر من جهة أخرى²⁰. ومما يدل على أهميّة موقع مليانة هو اختيارها من قبل بني زيري من بين العديد من مدن بلاد المغرب الأوسط لكي تجدد وتُحصن. وورد عن ابن خلدون أن بلكين الذي اختطّ كلاً من مدينة مليانة والمدينة والجزائر فعُدت من أعظم مدن المغرب الأوسط²¹. قام الأمير زيري بن مناد الصنهاجي (335 - 360 هـ / 946-970 م) بتجديد وتحصين مليانة وأمر عليها ابنه بلكين أو بلقين (360-373 هـ / 970-983 م)²². ونظرا للموقع الاستراتيجي لمليانة فقد أصبحت معقلا يلتجأ إليه الزعماء الدويلات المستقلة في بلاد المغرب، وفي ظلّ الصراع بين الدولتين الرّسميّة (160-296 هـ / 776-908 م) والإدرسية (172-375 هـ / 788-985 م)، ساهم الموقع الجغرافي لمليانة في تحصين بعض الشّخصيات بها، ومن هؤلاء نجد إدريس بن عبد الله الهاشمي (127-177 هـ / 743-793 م)²³. ومما سبق ذكره حول التراث المعماري العسكري لحواضر المغرب الأوسط نلاحظ أن جلّ الأبراج العسكريّة كانت مربّعة ومستطيلة الشكل ورثوه عن الرومان والبيزنطيين مثل أبراج تبسة وميلة وسطيف²⁴.

فمن خلال ما سبق ذكره نخلص على أن معظم حواضر بلاد المغرب تُعتبر غنية بالتراث العسكريّ إلا أنّها ما زلت تحتاج إلى بحوث معمقة من قبل الباحثين المتخصصين في التاريخ والآثار لإمطة اللثام عن تراثنا المعماريّ المدني منه والعسكريّ.

3) التراث المعماري العسكري لحاضرة بجاية



لم يكن لبجاية عُمرانٌ ذو شأن كبير قبل انتقال الحمّاديين إليها، ففي عهد الجغرافي والرحالة ابن حوقل النّصبي (ت. بعد 367 هـ/977م) كانت عبارة عن مرسى صغير تجنح إليه المراكب البحرية الخفيفة، فقال في شأنها: «وبينها وبين الجزائر بني مزغناي مراسٍ، فمئها جيجل، ومرسى منه إلى بجاية، مرسى ومنه إلى مرسى بني جنّاد»²⁵.

هذا وبلغت الدولة الحمّادية أعظم قوتها الحضارية والعسكرية إبان عهدي النّاصر بن علناس (454-481 هـ/1062-1089م) وابنه المنصور (481-498 هـ/1088-1104م)، فهي مدينة غنية بالتراث المعماري العسكري²⁶.

كان لنقل عاصمة الحمّاديين من القلعة إلى بجاية الأثر الأبرز في تطور التراث المعماري فيها، ولا ننكر بأن نقل عاصمة بني حماد من القلعة إلى بجاية²⁷ كان بأسباب ودوافع عديدة خاصة العسكرية منها، فابن سعيد المغربي أشاد بحصانة موقعها²⁸، ففي سنة 457 هـ/1065م شرع النّاصر في تشييد عاصمته الجديدة، والتي سُميت بالنّاصرية نسبة لمؤسسها²⁹، ويُفهم من كلام ابن خلدون بأن الدّافع الرئيسي لتغير عاصمته إلى بجاية هو الفرار من هجمات واعتداءات القبائل الهلالية نظرا لحصانة الجبال المحيطة بها وصعوبة اجتياز الطّرق الموصلة إليها، فاستقر هو وخلفاؤه من بعده ببجاية³⁰.

ويؤكد الحميري بأن بجاية يحدها جبل أمسيول وهو شاهق الارتفاع يعسر اختراقه، والبحر محيط بها من ثلاث جهات: الشرق والغرب والجوف، فكلّ الطّرق المؤدية إليها في غاية الوعورة باستثناء جهة الغرب ومن ذلك، لا تستطيع الجيوش دخولها إلا فرادى أو فرسان³¹، ويبدو أنه اتخذ السّرية في بنائها لأن ابن تميم لما أرسل البعيع لاستطلاع الأوضاع بها تفتّظ له حرس الأمير النّاصر، فلما ولي هاربا ألقى عليه القبض وقُتل.

لا شك أنّ تشييد حاضرة بجاية خلال عهد النّاصر صاحبه انجاز عددا لا بأس به من المنشآت العسكرية كالقلاع، الأبراج، المحارس، المناظر، المنارات، الخنادق، الأسوار، الأربطة، الحصون، غير أننا لا يمكننا الجزم بأنها شُيّدت كلّها في عهد النّاصر أم خلفاؤه الحمّاديون الذين جاؤوا من بعده، ومما يُشير إلى أنّ جل هذه المباني العسكرية شُيّدت في عهد الأمير النّاصر أنّ الحموي ذكر بأن النّاصر هو من أمر بوضع أساس بنايات المدينة ونزلها بعسكره³²، فلا يُعقل نزول جيش نظامي فاق تعداداه الثلاثين ألفا بدون عدد كبير من المنشآت العسكرية.

فمن الحصون الحمّادية التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية والجغرافية، يُوجد: حصن تاكلات وهو من الحصون المنيعّة أُقيم في موضع مطل على وادي بجاية³³، كما بُني حصن بكر قريب من واد الكبير. ومن



الحصون الأخرى التي وُجدت بالقرب من بجاية، يوجد: حصن تادرفت، حصن وارفر، حصن الحديد³⁴، كما أحيطت بجاية بسور كبير³⁵.

وكتبت المصادر التاريخية بأن المنصور كانت له عناية خاصة بالعمارة³⁶، فقد شُيّدت في عهده الكثير من المنشآت المدنية والعسكرية في قاعدته الجديدة بجاية كقصر اللؤلؤة وقصر أميميون، فقد نزلها بعساكره سنة 483هـ/1090م³⁷، غير أن المصادر التاريخية نوّهت بالمباني المدنية وأغفلت العسكرية منها، ووردت إشارة من قبل ليون دوبيلي Léon de Bylié بأن المنصور قام ببعض التعديلات في المباني التي شيدها والده الناصر، ومن بينها أنه قام بفتح بوابتين جديدتين في أحد جدران مدينة بجاية سنة 490هـ/1097م، وأقام بذلك من أفخم وأجمل المباني³⁸.

(4) أثر العمارة العسكرية لبجاية في تحصين المدينة

بحكم الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به بجاية وإقامة هذه المنشآت العسكرية السالفة الذكر لم تتجرأ الجيوش على غزوها وبقي أمراؤها في عزّ وشموخ فعُمرت على حساب العاصمة القديمة للحمادين في القلعة³⁹. وتجدر الملاحظة، بأنّ الأمراء الحمّادين الذين جاءوا منذ عهد الناصر لقبوا "بصاحب القلعة وبجاية"⁴⁰، واعترف المؤرخ ابن الخطيب بأنّ المنصور أوصل الدولة الحمّادية إلى قمة مجدها⁴¹. وقال عنه ابن خلدون بأنّه حضّر ملك بني حمّاد⁴²، فقد كان له دور كبير في تمدين الدولة الحمّادية وإخراجها من طابع البداوة⁴³، وجاء عن ابن خلدون أيضا بأنّ المنصور هو أول من ضرب السكة من الأمراء الحمّادين⁴⁴، ودلّت الحفريات الأثرية أيضا على وجود نقود معدنية في بجاية تعود للفترة الحمّادية⁴⁵.

(5) إشادة المؤلفين بالتراث المعماري لبجاية

وأشاد الكتاب والمؤرخون بالمباني الفخمة التي أنجزت في بجاية الحمّادية، فنالت صروحهم المعمارية استحسان الشاعر ابن حمديس لما أنشد يقول:

أعليت بين النّجم والدّبران	قصرا بناه من السّعادة بان
فضح الخورنق والسّدير بحسنه	وسما بقمّته على الإيوان
فإذا نظرت إلى مراتب ملكه	وبدت إليك شواهد البرهان
أوجبت للمنصور سابقة العلى	وعدلت عن كسرى أنوشروان ⁴⁶

أثنى المؤرخون والجغرافيون على التراث العمراني لبجاية ومن هؤلاء نجد حسن الوزان الذي وصف عمران بجاية بالجمال وحسن التخطيط⁴⁷. وأشاد أيضا بعمرانها وحصونها مامرول كربخال Louis del marmol Carvajal (ت. 1600م) وأفاد بأنّ تاريخ تشييدها يعود إلى ما بعد سقوط العبيدين (الفاطميين)⁴⁸ أي في العهد



الحَمَّادي، ويرى الباحث في المعالم الأثرية بجاية إبان الفترة الإسلامية الأستاذ عبد الكريم عزوق من أنَّ النصوص التاريخية والشواهد الأثرية تخلو من دور غير الأمراء الحمَّاديين الذين جاؤوا بعد المنصور في المجال العمراني⁴⁹. وهو ما يجعلنا نُقرَّ بأنَّ العمارة الحمَّادية البجائية يعود الفضل فيها إلى الناصر وابنه المنصور. وعلى الرغم من إشادة المصادر بالمباني التي شُيّدت أثناء حكم المنصور غير أنَّها لم تُشر صراحة إلى المنشآت العسكرية، وإن وردت إشارة من لدن الشاعر ابن حمديس بقوله:

لا يرتقي الرَّاقِي إلى شرفاته إلا بمعراج من اللَّحْظَان

عَرَّجَ بأَرْض النَّاصِرِيَّة كي ترى شَرَفَ المَكَانِ وَقُدْرَةَ الإِمْكَانِ⁵⁰

وقد وردت إشارة أخرى من لدن مؤلف مجهول مفادها بأنَّ بجاية شُيّدت في عهد المنصور وليس والده الناصر وأطلق عليها المنصورية⁵¹ نسبة للأمير المنصور بدل الناصرية نسبة للناصر، وهو قولٌ مرجوحٌ لا يُعَوَّل عليه، فقد ذهب عدد لا بأس به من المؤرخين والجغرافيين بأنَّ بجاية بُنيت في عهد الناصر⁵² وأنَّها سميت الناصرية⁵³ وليس المنصورية.

ومهما يكن من أمر فإنَّ المنشآت العسكرية التي شُيّدت في عهد المنصور تبقى غامضة وتحتاج إلى دراسات تاريخية وأثرية معمَّقة، فقد كشف الباحث رشيد بورويبة عن برج المنار⁵⁴ بأسواره العالية⁵⁵ وكشف الأثري الفرنسي هنري سالادين Henri Jules Saladin بأنَّ المنصور غداة انتقاله من القلعة نقل بعض المواد الصالحة للاستخدام إلى عاصمته الجديدة⁵⁶.

وأفاد مؤرِّخٌ مجهولٌ بأنَّ الحمَّاديين واجهوا خطر بعض القبائل العربية لما كانوا مقيمين في قاعدتهم القديمة القلعة، فقال: "فلما نجا المنصور إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب، وضيَّقوا عليه ببلاده، فكان يصانعونهم حتَّى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر على التَّصرف في بلاده، فطلب موضعا يبني فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب فدلَّ على موضع بجاية⁵⁷". ولما كان الحمَّاديون غير قادرين على مواجهة هذه القبائل اضطرَّوا إلى اقتسام المحاصيل الزراعيَّة معهم اتقاءً لبطشهم⁵⁸.

لم يستطع القادة الحمَّاديون صرف الأخطار الخارجية المتأتية أساسا من قبيلتي بني سليم وبني هلال، فقد أرغموهم على الهجرة من القلعة إلى بجاية⁵⁹، وبانتقال الحمَّاديين إلى بجاية أصبحت عاصمتهم الجديدة مؤمَّنة⁶⁰، فقد جاء عن المؤرخ المجهول واصفا الحال الذي آل إليه الحمَّاديون بعد أن هجروا القلعة وانتقلوا إلى بجاية، بقوله: "فبقى صاحب بجاية (حكامها وأهلها) في ملك شامخ وعز باذخ يضاهي في ملكه صاحب مصر⁶¹".

وهكذا، ساهمت العمارة العسكرية لحاضرة بجاية في الدِّفاع عن عاصمة الدولة من الأخطار الخارجية التي ظلَّت تهددهم في عاصمتهم القديمة القلعة.



(7) التراث العسكري لحاضرة تلمسان

عُرفت حاضرة تلمسان بخلاف حاضرة بجاية تطوّراً عمرانياً كبيراً، فقد كانت مدينة محصّنة منذ العهد الروماني وبمجيئ الفتوحات الإسلامية وتعاقب الدويلات الإسلامية على المنطقة عرفت تلمسان تغيراً كبيراً في عمارتها، لذلك أثرنا تقسيم التراث المعماري العسكري لهذه الحاضرة إلى فترتين، وهما:

(أ) التراث العسكري لحاضرة تلمسان قبل العهد الزياني

يعود تاريخ نشأة تلمسان إلى العهد الروماني، حيث أطلق هؤلاء عليها اسم بوماريوم Pomarium أو بوماريا Pomaria⁶². وقد أقام الرومان حامية عسكرية في منطقة استراتيجية إلا أن هذه القلعة الرومانية دُمّرت منذ الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد المغرب الأوسط⁶³، قدّر ستيفان غزال مساحتها بـ 16 هكتاراً⁶⁴، وتمتعت أغادير (جزء من مدينة القديمة لتلمسان) بتحصينات دفاعية هائلة منذ عهد الأدارسة، فقد دخلها إدريس الثاني في حدود سنة 199هـ/815م وأصلح أسوارها⁶⁵. ولما سقطت الأدارسة أشرف أمراء مغراوة⁶⁶ من قبيلة زناتة على أقادير وكانت آنذاك مدينة صغيرة عبارة عن قلعة محصّنة ضدّ الهجمات المتأتية جنوباً من سكان الصحراء، وكان اتساعها على حساب أرشكول التي أخذت في الأفول، واستمرت في الاتساع والشهرة مع مرور الوقت⁶⁷.

يصف البكري بعض الآثار العمرانية الموجودة في أقادير، فيقول: "وفيها آثار للأول قديمة، وبها بقية من النصاري إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة"⁶⁸. وينبغي التنبيه أنّ البكري يقصد في هذا الموضع مدينة أغادير وليست تلمسان الحالية ككل⁶⁹، لأن تآقراوات لم تُنشأ بعد.

وأطلق عليها العرب الفاتحون اسم تلمسان: بكسرتين، وهما عبارة عن مدينتين متجاورتين مسوّرتين، تُقدّر المسافة بينهما مقدار رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، فالقديمة عُرفت باسم أقادير كان يقطن فيها عامّة الناس. وأمّا الحديثة فأطلق عليها اسم تآقراوات شيدها المرابطون، وسكن فيها الجيش ومقربي السلطان وحاشيته⁷⁰. وشُيّدت تآقراوات فوق الهضبة التي عسكر فيها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين⁷¹.

والذي يظهر من النصوص التاريخية أنّ تلمسان كانت محصّنة حتى نهاية عهد الدولة المرابطية وبداية عصر الدولة الموحدية (515-668هـ/1121-1269م)، فقد اضطرّ الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـ/1130-1163م) إلى حصارها بعد أن امتنعت عليه في حدود سنة 540هـ/1145م⁷²، "وسار عبد المؤمن إلى تلمسان وهي مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما اسمها قاروت (تآقراوت) بها أصحاب السلطان، والأخرى اسمها أقادير فملك عبد المؤمن قاروت أولاً... في سنة إحدى وأربعين وخمسائة، وفتح عسكره أقادير بعد حصار سنة"⁷³. واستمرّ هذا الحصار أربع سنوات إلى غاية سنة 544هـ/1149م⁷⁴.



وعندما استولى الموحدون على أقادير أعطى الخليفة عبد المؤمن بن علي أوامره بترميم ما هُدم من تحصينات المدينة ورفع أسوارها. وجاء عن الإدريسي بأن المصامدة أي الموحيدين شيدوا الحصون في تلمسان⁷⁵. وورد عن ابن خلدون قوله: " وصرف ولاية الموحدون بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها إلى تحصينها وتشديد أسوارها"⁷⁶.

شهدت تاقراات ازدهارا عمرانيا وسكانيا في عصر الموحيدين وخاصة في عهد عبد المؤمن بن علي كابنه يوسف الذي شيد المباني ووسّع في حدود تاقراات وأحاط كل المباني الجديدة بسور كبير، والذي شرع في بنائه سنة 566هـ/1161م وأبدى أبو الحسن بن أبي حفص رغبة كبيرة في توسيع تاقراات فأتّم بناء تحصينات المدينة الجديدة في سنة 581هـ/1185م، ومما شجّع الموحيدين أيضا على تحصين تلمسان هو ظهور خطر بني غانية المتحصنين في جزيرة مايوركا⁷⁷ والذين احتلوا العديد من مدن بلاد المغرب الأوسط كجاية والجزائر والمدينة ومليانة، فلم يُضَيّع أبو الحسن الوقت في تحصين مدينة تلمسان، حيث وضع المدينة الجديدة في حالة دفاع، وشرع في تحصين المدينة القديمة عبر إعادة بناء ما هُدم من أسوارها ومعالجة بعض الثغرات الموجودة بها، وحفر حفرا في العديد من الأمكنة وبذلك أصبحت مدينة تلمسان من أحصن مدن بلاد المغرب⁷⁸.

ب) التراث العسكري لحاضرة تلمسان أثناء العهد الزياني

نجم عن سقوط الدولة الموحدية ظهور ثلاث دويلات في بلاد المغرب، الحفصيون في المغرب الأدنى والزيانيون (633-962هـ/1235-1555م) في المغرب الأوسط والمرينيون في المغرب الأقصى، اتخذ الزيانيون من تلمسان عاصمة لدولتهم وهو ما سينعكس إيجابا على عمران المدينة خاصة في مجال الاستحكامات الحربية، أول سلطان يتبوأ العرش الزياني هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1283م) دامت فترة حكمه قرابة الخمسين عاما، ضرب به المثل في الشجاعة⁷⁹، غير أنّ الدولة الزيانية مرتّ بظروف أمنية معقّدة طول تاريخها⁸⁰.

وعلى الرّغم من الاستحكامات العسكرية التي أقيمت في تلمسان إبان العهد الإدريسي والمرابطي والموحدي إلا أنّ الأمراء الزيانيين شيدوا استحكامات عسكرية أخرى تتماشى مع الظروف والتحديات التي عرفتها دولتهم، يُفيد المؤرخ البريطاني المتخصص في تاريخ الفن جون بيرتون John Burton بأن العمارة الزيانية حافظت على النمط المعماري الموحدوي دون تغير كبير⁸¹.

ومن أشهر الانجازات المعمارية التي شُيّدت في عهد السلطان يغمراسن هو جمعه بين المدينتين أقادير وتاقراات وأصبحت بذلك تلمسان مدينة واحدة محاطة بأسوار خارجية وأخرى داخلية وكانت المسافة بين



السورين في حدود ثلاثمائة متر، فالمسافة التي كانت بين السورين لم يكن بها بنيان مدني وإنما كانت منطقة عسكرية مزودة بالتحصينات العسكرية كالقلاع من أجل الدفاع عن المدينة في حال الحرب⁸².

يُشير المؤرخان الشّقيقان وليام وجورج مارسي بأن اضطراب الزّيانين إلى بناء الجدارين الأماميين لم يكن بغرض التّوسيع في حجم المدينة فالتّجمع السّكاني بقي على ما هو عليه تقريبا باستثناء بعض التّعدّلات اليسيرة، فالمسافة التي كانت بين السور الخارجي والذي يليه لم تستغل في بناء العمارات وإنما خُصّصت للدّفن، ولعلّ هذه المقابر هي المنشآت الوحيدة التي بُنيت في هذه المنطقة العسكرية⁸³. ويؤكد ذلك الفقيه والمؤرخ ابن مرزوق لما أشار إلى أنّ والده دُفن بين السورين خارج باب الجياد⁸⁴. وأكد ذلك أيضا المؤرخ ابن مريم بأن إحدى العجائز المعمرات دُفنت خارج باب الجياد⁸⁵.

ويرى الأستاذ شاوش أنّ تلمسان كانت محاطة في جميع اتجاهاتها بسورين وأن المسافة بينهما تراوحت ما بين ثلاثمائة متر إلى خمسمائة متر استغلت هذه المساحة في الزراعة وعلى الرّغم من كونها ضئيلة إلا أنّها غطّت جانبا مهما من معيشة المُحاصرين⁸⁶.

لا يخفى على الباحثين والمهتمين في مجال البنايات والعمارة العسكرية بأنها تحتاج إلى أموال طائلة من أجل تشييدها وتعميرها والسهر على إصلاحها⁸⁷، فهي تحتاج إلى الإتيان والدّقة. ومن ذلك، فالعديد من المباني الزّيانية التي أنشئت في عهد يغمراسن وأبنائه وأحفاده مازال بعضها قائم إلى اليوم كصومعة الجامع العتيق⁸⁸. وأُحيطت تآقراوات بسور ومسجد وبذلك تحوّلت إلى قلعة، وأصبحت بذلك المقرّ الرّئيسي للحكم وضباط الجيش والذين اتخذوها مقرا لقواتهم التّظامية بالإضافة إلى موظفي الدّولة، ومن ضمن البنايات التي استحدثت فيها في عهد يغمراسن نجد: المشور⁸⁹، أُطلق على هذا القصر أو القلعة اسم المشور أي المكان الذي يُعقد فيه المجلس أين يتم التّقاء أمراء تلمسان بالوزراء للتّشاور في شؤون تسيير الدّولة⁹⁰. عمد الفرنسيون إلى تهديم العديد من المعالم الأثرية في تلمسان، ومثال ذلك المشور أين تعمدوا تهديم القصر القديم وبنوا في مكانه منشآت عسكرية لمختلف وحدات وتشكيلات الجيش الفرنسي⁹¹. ويرى غزال بأن الفرنسيين وأثناء إقامة ثكنات عثروا على أساسيات قديمة لقصر المشور⁹².

كان من الطّبيعي بمكان أن تزدهر تلمسان في العهد الزّياني بعد أن أصبحت قاعدة لدولتهم، يفيدنا المؤرخ الفرنسي برجس بأن تلمسان تضاعفت فيها عدد الأبنية إلى أن صار محيط المدينة ضيقا لا يستطيع استيعاب كلّ سكان المدينة⁹³، ويظهر أنّ أشغال التّشييد شملت المدينتين أغادير وتآقراوات بدليل ما رواه يحيى بن خلدون من أنه بنى صومعتين للمسجدين الأعظمين⁹⁴، وفد إليها الرّحالة العبدري ووقف على هذه الحقيقة⁹⁵. شيّد يغمراسن مجموعة من العمارات المدنية كالمآذن والقباب والقصور والفنادق والحدائق والمدارس والأسواق إلى



أن صارت تلمسان واحدة من أجمل العواصم الإسلامية⁹⁶، وأفاد يحيى بن خلدون من أن يغمراسن شرع في بناء باب كشوط سنة 668هـ/1270م⁹⁷.

شرع الأمير الزياني أبو السعيد عثمان بن يغمراسن (683-703هـ/1283-1304م) في غزو العديد من المناطق الشرقية فمنذ مبايعته مطلع شهر ذي الحجة 683هـ/1283م في إطار حركة التوسع ضد القبائل الخارجة عن سيطرة الزيانيين كقبيلة توجين، الونشريس، المدينة، مازونة، تنس، وبرشك إلى أن وصل إلى بجاية⁹⁸. وشيّد أبو سعيد المسجد الجامع المقابل لباب البنود سنة 696هـ/1297م⁹⁹.

لم يكتف الزيانيون ببناء وترميم الاستحكامات العسكرية داخل مدينة تلمسان فحسب وإنما شيّدوا تحصينات عسكرية أخرى خارج المدينة من جهة الجنوب عند (قصر الأمير) مشيّدا على هيئة حصن وله بابان أحدهما للخروج إلى البادية (باب الجياد) والثانية للدخول إلى المدينة (باب الغدير) وهو المقر الدائم لإقامة الحرس الملكي¹⁰⁰.

ويُشار إلى أن الزيانيين في عهد عثمان بن يغمراسن أسسوا تحصينات عسكرية أخرى خارج عاصمتهم، ففي سنة 689هـ/1290م وأثناء هجوم أبو يعقوب المريني على تلمسان والذي وصل إلى أعتاب المدينة أين دمر المرينيون بعض النقاط المتقدمة التي أقيمت على أطراف المدينة لحمايتها من أي غزو خارجي كقلعة "إمامة"¹⁰¹، ويُشير جورج مارسلي إلى أن هذه القلعة تبعد عن تلمسان كيلومترين ونصف لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم. وقد حاول السلطان المريني سنة 1290م إخضاعها، فحاصرها مدة أربعين يوما غير أنه أُجبر على الانسحاب، وفشل في احتلالها¹⁰².

وعن مواد البناء التي استعملت من قبل الزيانيين توجد الخرسانة التي شُيّدت بها السّتائر والأبراج، وأمّا مداخل البوابات تشيّدت بالآجر¹⁰³ بدل الحجارة¹⁰⁴، ويؤكد ستيفان غزال بأن بعض المباني المشيّدّة في أغادير كالجزة السفلي من السور القديم وقاعدة إحدى المآذن شُيّدت ببقايا الحجارة الرّومانية، كما بُني باب الأُخبت من مواد قديمة¹⁰⁵. وقد أثبت الباحثان جورج ووليام مرسي وجود ثلاثة أبراج مصنوعة من التراب المدكوك والتي تبعد عن الأسوار بأربعين مترا¹⁰⁶. ويُشار إلى أن الطين المدكوك يستخدم غالبا في التّحصينات التي تبنى في وقت وجيز¹⁰⁷. والمُشاهد أن العمارة العسكرية المشيّدّة في بلاد المغرب تأثرت إلى حد كبير بنظيراتها البيزنطية المقامة في المنطقة¹⁰⁸.

ومن التّحصينات الطّبيعية التي تمتّعت بها أغادير هو خندق وادي متشكانا العميق الذي أحاط بها جنوبا وشرقا، بالإضافة إلى المنحدرات التي تحيط بها شمالا، ما سمح للقلعة الرّومانية المتواجدة داخل المدينة الحفاظ على أهميّتها الاستراتيجية إلى درجة أن العدو لا يُغامر باحتلالها¹⁰⁹. كما أُحيطت تآقارارت بالمنخفضات



الطبيعية ما عدا الجهة الجنوبية أين عُوض بخندق محفور¹¹⁰. وبذلك أصبحت تلمسان محصنة بتحصينات طبيعية وعمرانية جعلت منها مدينة في غاية المناعة من الاعتداءات الخارجية.

(8) إشادة المؤرخين والرحالة بالتراث المعماري العسكري لتلمسان

ونظراً لتنوع وتعدد الاستحكامات العسكرية المقامة في تلمسان فإن الأخبار تواترت بأنها في غاية الحصانة والمناعة على الرغم من وقوعها في أرض منخفضة في بعض جهاتها إلا أنّ بنائها محصنة¹¹¹. ففيها العديد من الحصون¹¹². يقول عنها العمري: "ولها ثلاثة أسوار، ومن جهة القصبة ستة أسوار بعضها داخل بعض"¹¹³، وجاء عن أبي الفداء أنّ تلمسان مدينة مسورة تقع في سفح الجبل ولها ثلاثة عشر باباً¹¹⁴، ووصف الرحالة العبدري سور تلمسان بأنه: "سوره من أوثق الأسوار وأصحها" إذ تتميز بالارتفاع¹¹⁵. ووصف حسن الوزان هذه الأسوار بشدة علوها وقوتها¹¹⁶، ويجدر التنبيه إلى أنّ تلمسان كانت كغيرها من مدن العصور القديمة والوسطى محصنة بأسوار عالية بغرض حمايتها من هجمات المغيرين¹¹⁷.

وقد وصف المؤرخ الإسباني لويس دل مارمول كربخال بعض الاستحكامات العسكرية الزبانية المقامة في تلمسان فقال: "أسوار المدينة جميلة شاهقة محصنة تحصينا جيداً بروج، لها خمسة أبواب رئيسية، في كلّ واحد منها مراكز حراسة"¹¹⁸، ويلاحظ أنّ تشييد الحصون العسكرية وغيرها من المباني المدنية كالقصور والمساجد بقيت محافظة عن النمط المغربي السائد سابقاً دون تعديل يُذكر إلا نادراً¹¹⁹.

وعلى الرغم من قوة الاستحكامات العسكرية وتنوعها في تلمسان إلا أنّها واجهت بعض التحديات، ومنها: عيونها المتواجدة خارج المدينة، فمأوها مجلوب من عين على بعد ستة أميال¹²⁰. وأشار مارمول كاربخال من أنّ مدينة تلمسان تتمتع بعدة سقايات غير أنها تستمد ماءها من عين واحدة مجلوب عبر قنوات تحت الأرض عبر مسافة تتجاوز ثلاثين فرسخاً، ولقد حرص الأمراء الزبانيون المتعاقبون على حكم الإمارة السرية التامة حول هذه القنوات وعدم الكشف عن أيّ تفاصيل بخصوص هذه القنوات خوفاً من تحويل مجاريها في حال ما إذا حوصرت المدينة¹²¹. فالعدو يمكنه قطعها بسهولة أثناء الحصار¹²²، وهو ما وقع فعلاً أثناء الحصار الثاني للمدينة (735-737هـ / 1335-1337م) أين اكتشفت العين التي تزود مدينة تلمسان بالماء فعمدوا إلى قطعها¹²³.

(9) أهمية العمارة العسكرية لتلمسان في التصدي للأخطار الخارجية

حظي النظام الدفاعي لمدينة تلمسان بإعجاب المؤرخين الذين أشادوا بدوره الحاسم في التصدي للحصار، ومن هؤلاء يُوجد ابن الأحمر: "ولكن تلمسان لم تخضع لسلطان المغرب هذا، مما يدلّ على حصانتها التي لا تضارع، فقد ظلت صامدة دون أن يفكر أصحاب الأمر فيها في التسليم، ولكنهم كانوا يخافون سقوط المدينة



ووقعهم في أيدي أعدائهم¹²⁴". إذا فالاستحكامات العسكرية عامّة والأسوار منها على وجه الخصوص قامت بدور فعّال في التصدي للحصار المريني.

استخدم الجيش المريني أسلحة متطورة أثناء حصارهم لتلمسان، ومن هذه الأسلحة كتل كروية ضخمة مصنوعة من المرمر أو من الحثّ وكانت هذه الآلات العسكرية تقذف قطع الحديد المدفوعة بالبارود المسحوق المشتعل والذي ظهر منذ نهاية القرن 7 هـ / 13 م، ولا شك أنّ هذه المقذوفات كانت تؤثر على أعصاب ومعنويات المحاصرين، ويتساءل جورج مارسيل حول فعالية هذه المقذوفات في سقوط الموقع المحصّن كتلمسان على سبيل المثال ثم يجيب بأنّ الجهاز الدفاعي الإسلامي مثل حصون العصور الوسطى كان أكثر تفوّقا على وسائل الهجوم المتوقّرة¹²⁵.

وعلى الرّغم من بعد المكاني بين الحاضرتين وعلى الرّغم من تباعد تاريخ بناء وتعمير المدينتين إلّا أنّنا رصدنا تشابها كبيرا في التراث المعماري العسكري بينهما¹²⁶، فكثيرا من الأبراج وأسوار المنصورة بتلمسان وبجاية متشابهة¹²⁷.

الخاتمة:

خلّصت الدّراسة التي بين أيدينا والموسومة بـ "التّراث المعماري العسكري لحواضر المغرب الأوسط: بجاية وتلمسان أنموذجا - دراسة تاريخية أثرية -" إلى العديد من الاستنتاجات والتي يُمكن حصرها في النّقاط التّالية:

تُعتبر بلاد المغرب الأوسط من الأقطار الغنية بالتّراث العسكري منه والمدني إلّا أنّه مازال بحاجة إلى دراسات وأبحاث جادة من قبل المؤرخين والأثريين للتعريف بها والاستفادة من تراثها. ساهمت العمارة العسكرية المقامة في بلاد المغرب الأوسط في الدفاع على مدنها وعواصمها وهو ما يدل على أنّ الجيش الجزائري عبر العصور كانت عقيدته دفاعية بالأساس. عبّرت العمارة العسكرية عن إبداع جزائري خالص وعبقريّة فذة.



الملاحق:

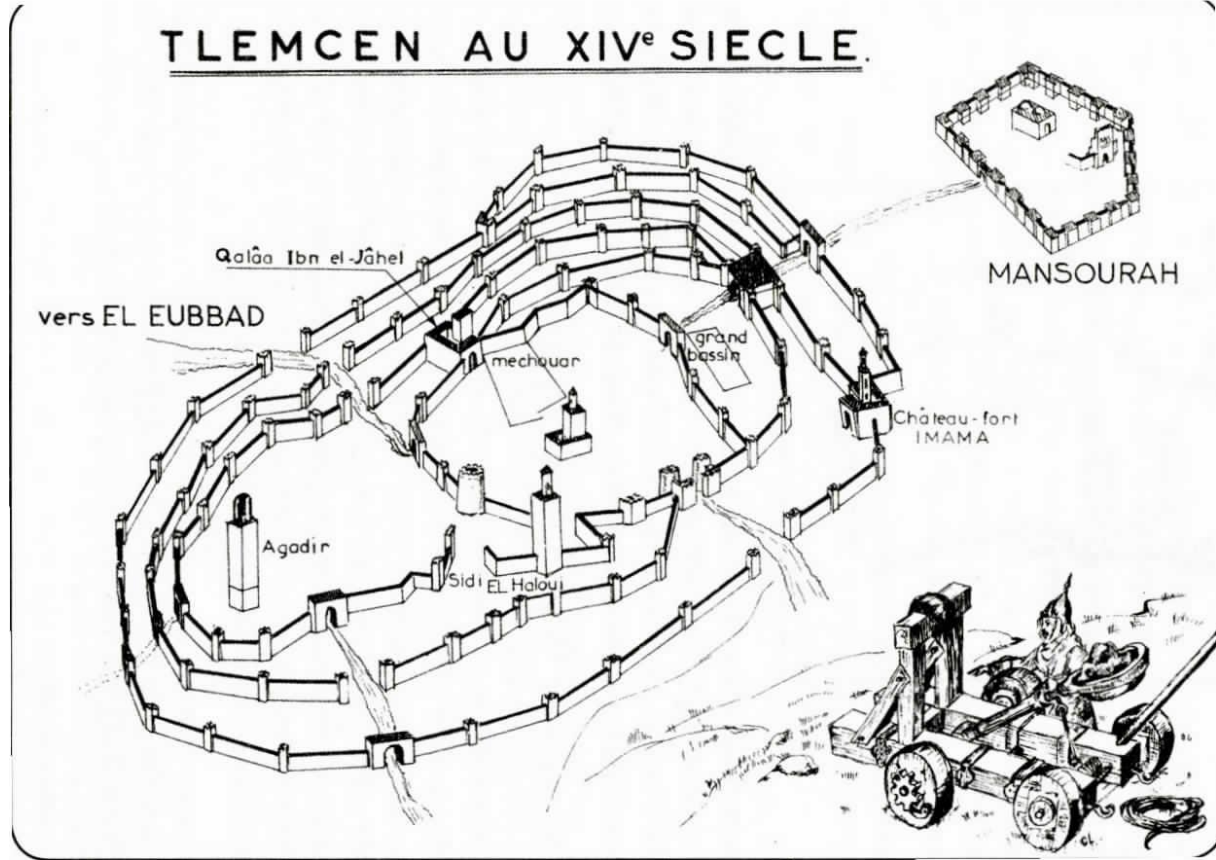
صورة يُمثل الأسوار التي شُيّدت في بجاية في عهد الناصر بن علناس



خريطة تمثل المدينة القديمة والجديدة لتلمسان
نقلا عن: جورج مارسلي: مدن الفن الشهيرة لتلمسان، ص.06.



ملحق رقم (04) : رسم تقريبي يوضح الاستحكامات العسكرية لتلمسان خلال القرن 8هـ/14م

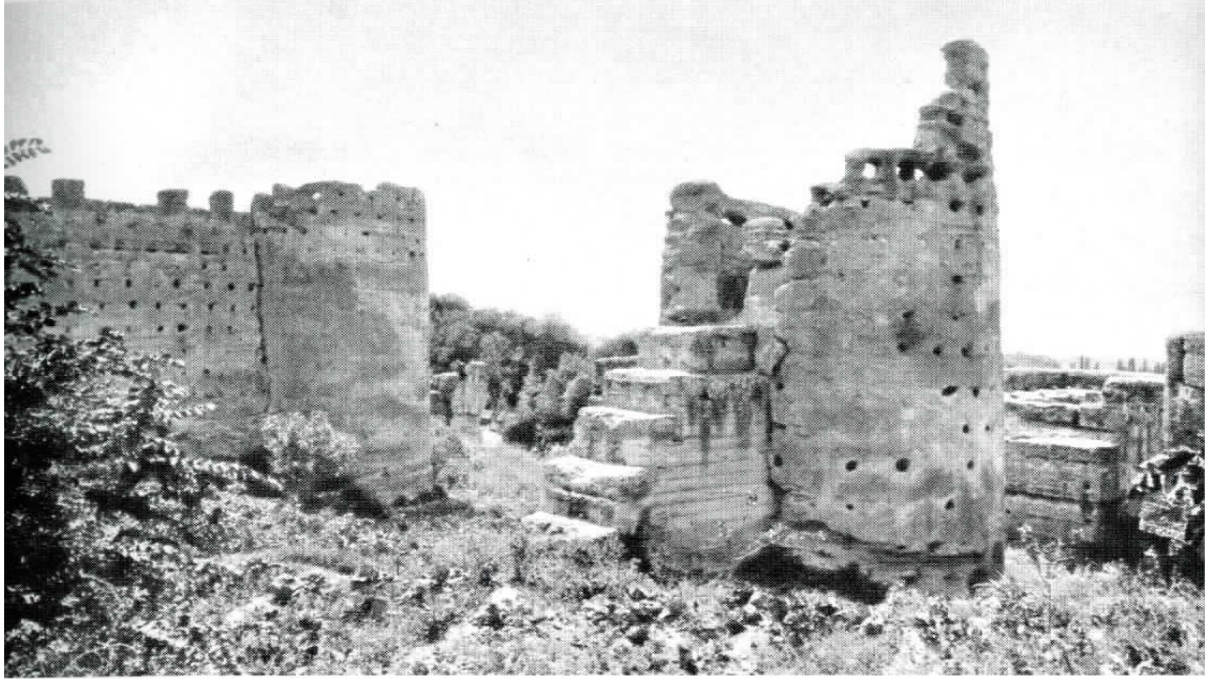


نقلا عن:

Sid Ahmef Bouali, **les deux grands sièges de Tlemcen dans l'histoire et la légende**, L'Arbre a livres editions, Tlemcen, 2011, p.40.



صورة تمثل أسوار وأبراج باب القرمدين



نقلا عن :

Georges Marcais, **Tlemcen les villes d'art célèbres**, editions du Tell, Blida, 2003, p.24.

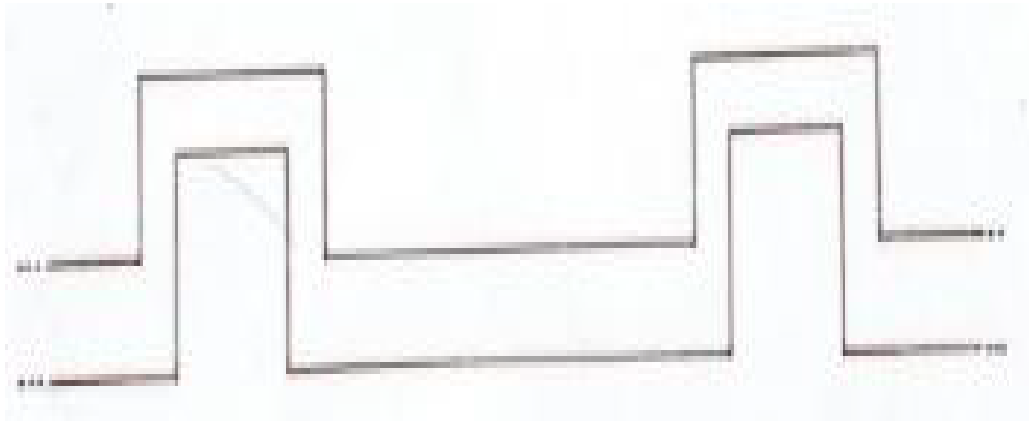




نقلا عن:

Zaki Bouzid, **Tlemcen cité des sources promenade littéraire et artistique**,
continentale pack services, alger, 2010, p.85.

يُوضح أبراج حائطية مربعة الشكل بسور مدينة تلمسان والذي يُشبه نظيره في بجاية



نقلا عن: بوطبة محفوظ : المرجع السابق، ص.192.



الهوامش:

- ¹ ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت. 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، ط.3، بيروت، 1414هـ/1994م، ج.02، ص.201.
- ² جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط.2، بيروت، 1984، ص.63.
- ³ تعريف الحصن: في اللغة هو كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه. وفي اصطلاح الأثريين هو البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بعد قتال، وهو على نوعين، بناء منفصل كالحصون التي تُبنى على السواحل أو حدود الدولة، وأما النوع الثاني فهو البناء المتصل بغيره من أسوار وحصون المدينة كالأبراج والقلاع المتصلة بسور المدينة، ويضم الحصن في هذه الحالة على أبراج ومزاغل (ثقب) لرمي السهام وعلى بوابات. عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص.81.
- ⁴ ومن أهم الركائز الأساسية للحصن هو السور الذي عُرف على أنه جدار عال وضخم يحيط بالمباني ليحميها. عاصم محمد رزق: المرجع السابق، ص.153.
- ⁵ للمزيد من الشرح حول هذا الموضوع، ارجع إلى: محمد مصطفى الخازمي: المباني الدفاعية في العمارة الإسلامية، في مجلة العلوم الإنسانية والأساسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة مصراتة، العدد الثاني، 2010.
- ⁶ ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ت. بعد 367هـ/977م): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م، ج.1، ص.77.
- ⁷ الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الطالبي (ت. 560هـ/1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، ج.1، ص.252.
- ⁸ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت. 487هـ/1094م): كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج.2، ص.748. مؤلف مجهول (ت. بعد 580هـ/1185م): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص.134.
- ⁹ ابن حوقل: المصدر السابق، ج.1، ص.93.
- ¹⁰ الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (المتوفى: 900هـ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تج. إحسان عباس، ط.2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص.126.
- ¹¹ نفسه.
- ¹² الإدريسي: المصدر السابق، ج.1، ص.251.
- ¹³ الإدريسي: المصدر السابق، ج.2، ص.534.
- ¹⁴ البكري: المصدر السابق، ج.2، ص.745.
- ¹⁵ الحميري: المصدر السابق، ص.318.
- ¹⁶ ابن حوقل: المصدر السابق، ج.1، ص.90.
- ¹⁷ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.171.



- ¹⁸ الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرّومي البغدادي (ت. 622هـ/1225م) معجم البلدان، ط. 2، دار صادر، بيروت، 1995، ج. 5، ص. 196؛ الوزان حسن بن محمد (ت. 1554م) : وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج. 2، ص. 34. مارمول كاريخال (ت. 1600م) : إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط 1408-1409هـ/1988-1989م، ج. 2، ص. 359.
- ¹⁹ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت. 487هـ/1094م) : كتاب المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج. 2، ص. 725؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دُول الطوائف منذ قيامها حتّى الفتح المرابطي، ط. 4، مكتبة الخاني، القاهرة، 1417هـ/197م، ج. 4، ص. 150.
- ²⁰ الوزان : المصدر السابق، ج. 2، ص. 35؛ كاريخال : المصدر السابق، ج. 2، ص. 359-360.
- ²¹ ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 204.
- ²² البكري : المصدر السابق، ج. 2، ص. 725؛ الحموي : المصدر السابق، ج. 5، ص. 196؛ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ج. 4، ص. 150.
- ²³ الرّازي أحمد بن سهل (ت. في القرن 4هـ/10م) : أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله (انتشار الحركة الزيدية في اليمن والمغرب والدّيلم)، دراسة وتحقيق: ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص. 63.
- ²⁴ بوطبة محفوظ : العناصر المعمارية الدفاعية بالعمارة العسكرية الإسلامية، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 16، العدد 1، 2018، ص. 191.
- ²⁵ ابن حوقل : المصدر السابق، ص. 77.
- ²⁶ للمزيد من الشرح والإيضاح حول هذا الموضوع، أرجع إلى: حسام صلاحي: الجيش الحمّادي ودوره في درء الأخطار الخارجية خلال عهد النّاصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م)، في مجلة الدّراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثالث، العدد الأول، جانفي 2021/1442. وانظر أيضا: لنفس المؤلف مقال بعنوان: " دور الجيش الحمّادي في مواجهة الأخطار الداخليّة والخارجيّة إبّان عهد المنصور بن النّاصر بن علناس (481-498هـ/1088-1104م) "، في مجلة الدّراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثالث، العدد الثاني، الجزائر، ذو الحجة 1442هـ/جويلية 2021.
- ²⁷ قُدرت المسافة بين القلعة وبجاية بأربعة أيام. أنظر: الحميري : المصدر السابق، ج. 1، ص. 469.
- ²⁸ ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت. 673هـ/1274م) : كتاب الجغرافيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ج. 1، ص. 36.
- ²⁹ الحموي : المصدر السابق، ج. 1، ص. 339؛ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748هـ/1347م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تج. عمر عبد السلام التدمري، ط. 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ/1993م، ج. 30، ص. 289.
- ³⁰ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص. 27.
- ³¹ الحميري : المصدر السابق، ج. 1، ص. 80-81؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 27.
- ³² الحموي : المصدر السابق، ج. 1، ص. 339.
- ³³ الحميري : المصدر السابق، ج. 1، ص. 147.
- ³⁴ الإدريسي : المصدر السابق، ج. 2، ص. 262.



³⁵ ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت. 861هـ/ 1457م) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تج. أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1428هـ/ 2008م، ص. 70؛ العمري أبو شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى (ت. 749هـ/ 1349م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/ 2004م، ج. 4، ص. 146.

³⁶ ابن الخطيب أبو عبد الله بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت. 776هـ/ 1374م) : أعمال الأعلام فيم بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تج. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ج. 2، ص. 333.

³⁷ ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 232.

³⁸ L. de Beylié, *La Kalaa des Beni-Hammad : une capitale berbère de l'Afrique du nord au XIe siècle*, Ernest Leroux, Paris, 1909, p.106.

³⁹ الحميري : المصدر السابق، ج. 1، ص. 81.

⁴⁰ ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت. في القرن 8هـ/ 14م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين-، تج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/ 1985م، ج. 1، ص. 302.

⁴¹ ابن الخطيب : المصدر السابق، ج. 2، ص. 333.

⁴² ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 232.

⁴³ الهادي روجر إدريس : الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة، حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج. 1، ص. 325. للمزيد حول هذا الموضوع، ارجع إلى : حسام صلاحي : تطوّر العمارة الحمّادية وأثرها في تحضّر المجتمع الحمّادي إبان عهدي النّاصر والمنصور (454-498هـ/ 1062-1104م)، في مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس، العدد الثاني، الجزائر، 2022، ص. 535-546.

⁴⁴ ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 1، ص. 324.

⁴⁵ L. de Beylié, op. cit., p.88.

⁴⁶ ابن حمديس الصّقلي أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر (ت. 527هـ/ 1133م) : ديوان ابن حمديس، تصحيح وتقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت.)، ص. 494-495.

⁴⁷ الوزان : المصدر السابق، ج. 2، ص. 50.

⁴⁸ مارمول كربخال : المصدر السابق، ج. 2، ص. 377.

⁴⁹ عبد الكريم عزوق : المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008، ص. 104.

⁵⁰ ابن حمديس : المصدر السابق، ص. 495.

⁵¹ مجهول : المصدر السابق، ص. 129. وتبعه في هذا الادعاء الحميري : المصدر السابق، ص. 81.

⁵² ومن هؤلاء المؤرخين الذين ذهبوا إلى أنّ بجاية شُرع في تخطيطها وبنائها في عهد النّاصر، يوجد: ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشّيباني (ت. 630هـ/ 1232م) : الكامل في التاريخ، ط. 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ج. 8، ص. 203؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج. 6، ص. 27.

⁵³ استدرك الحميري قول المؤلف المجهول صاحب كتاب الاستبصار، ورّجح بأنّ النّاصر بن علناس هو من شيّد بجاية وجعل منها عاصمة لإمارته، وأفاد بأنّ تاريخ تشييدها يعود إلى سنة 457هـ/ 1065م، الحميري : المصدر السابق، ص. 81.



⁵⁴ Rachid Bourouiba, *cites disparues, Tahert, Sedrata, Achir, Kalaa des Béni-Hammad, art et culture*, ministère de l'information, Alger, 1982, p.144-145.

⁵⁵ شارل أندري جولييان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط.3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ج.2، ص.93.

⁵⁶ Henri Saladin, *note sur des monuments de la Calaa des Beni-Hammad*, dans bulletin Archéologique su comité des travaux historique et scientifiques, Imprimerie Nationale, Paris, 1904, p.246.

⁵⁷ مجهول: المصدر السابق، ص.129.

⁵⁸ جولييان: المرجع السابق، ج.2، ص.96.

⁵⁹ Laurent charles féraud, *histoire des villes de la province de Constantine, Bougie*, typographie et littiographie l. arnolet. Constantine, 1869, p.61.

⁶⁰ مجهول: المصدر السابق، ص.130؛ وانظر أيضا: ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.27.

⁶¹ مجهول: المصدر السابق، ص.130.

⁶² Abbe Jean-Joseph- Léandre Bergès, *Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, sa topographie, son histoire, description de ses principaux monuments*, anecdotes légendes et récits divers, souvenirs d'un voyage, Imprimerie orientale de Marius Nicolas, à Meulan, Paris, 1859, P.111.

⁶³ Lucien Golvin, *essai sur l'architecture religieuse Musulmane*, l'art Hispano-Musulman, éditions KLINCKSEICK, Paris, 1979, T.4, 179.

⁶⁴ Stéphane Gsell, *Atlas Archéologique de l'Algérie*, Fonte oing & Cie, Paris, 1911, p.397.

⁶⁵ الجزنائي علي أبو الحسن: جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991، ص.27.

⁶⁶ للمزيد من الشرح والايضاح حول هذه القبيلة، ارجع إلى: حسام صلاح: قبيلة مغراوة وتحالفاتها العسكرية والسياسية في بلاد المغرب الأوسط، من الفتح إلى تأسيس الدولة المغراوية، في مجلة الدّراسات التاريخية العسكرية الصّادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، المجلد السادس، العدد الأول، جانفي 2024/1445.

⁶⁷ مارمول كربخال: المصدر السابق، ج.2، ص.298.

⁶⁸ البكري: المصدر السابق ج.2، ص.745.

⁶⁹ Lucien Golvin, op. cit., p.179.

⁷⁰ الحموي: المصدر السابق، ج.2، ص.44.

⁷¹ Charles André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord des origines a 1830*, Editions Talantikit, Bejaïa, 2015, p.483.

⁷² ابن الأثير: المصدر السابق، ج.8، ص.663.

⁷³ الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد، صاحب حماة (ت. 732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، (د.ت.)، ج.2، ص.234.

⁷⁴ Bergès, op. cit., p.184.

⁷⁵ الإدريسي: المصدر السابق، ج.1، ص.248.

⁷⁶ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.7، ص.104.

⁷⁷ Bergès, op. cit., p. 187.



⁷⁸ Ibid. 188.

⁷⁹ الذهبي : المصدر السابق، ج. 51، ص. 86.

⁸⁰ للمزيد من الشرح والايضاح حول مكانة ودور الجيش الزياني في حماية الدولة، ارجع إلى دراستنا الموسومة بـ الجيش الزياني ودوره في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية (633-962هـ/1235-1555م)، في مجلة الدراسات التاريخية العسكرية الصادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري، المجلد 02، العدد 04، الجزائر، ذو القعدة 1441هـ/ جويلية 2020، ص. 51-67.

⁸¹ بيرتون بيج : البرج في العمارة الإسلامية الحربية، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص. 50.

⁸² الحاج محمد بن رمضان شاوش : باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج. 1، ص. 161.

⁸³ William et Georges marçais, *Les monuments arabes de Tlemcen*, ancienne librairie ihorin et fils Albert fontemoing, paris, 1903, p.122.

⁸⁴ ابن مرزوق محمد الخطيب (ت. 781هـ/1379م) : المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م، ص. 199.

⁸⁵ ابن مريم الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت. 1020هـ/1611م) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص. 85.

⁸⁶ شاوش : المرجع السابق، ج. 1، ص. 74.

⁸⁷ أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن (ت. 791هـ/1389م) : كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1279هـ/1862م، ص. 12.

⁸⁸ شاوش : المرجع السابق، ج. 1، ص. 165.

⁸⁹ نفسه، ج. 1، ص. 65.

⁹⁰ Bergès, op. cit., p.186-187.

⁹¹ وليم وجورج مارسي : المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم مراد بلعيد، ترجمة علي محمد بورويبة وفلة عبد مزيا، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م، ص. 159.

⁹² Stéphane Gsell, op. cit., p.397.

⁹³ Bergès, op. cit., p. 190.

⁹⁴ ابن خلدون يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن (ت. 781هـ/1379م) : كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة ببيرون فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ج. 1، ص. 116؛ التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت. 899هـ/1494م) : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح. وت. محمود آغا بوعياض، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص. 125.

⁹⁵ العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد (ت. حوالي 720هـ/1320م) : رحلته، تح. علي إبراهيم كردي، تق. شاعر الفحاح، ط. 2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1426هـ/2005م، ص. 49.

⁹⁶ Bergès, op. cit., p. 191.

⁹⁷ يحيى بن خلدون : المصدر السابق، ج. 1، ص. 115.

⁹⁸ التنسي : المصدر السابق، ص. 129.

⁹⁹ يحيى بن خلدون : المصدر السابق، ج. 1، ص. 119.



- ¹⁰⁰ مارمول كريخال : المصدر السابق، ج.2، ص.299.
- ¹⁰¹ Charles Brosselard, *les inscriptions Arabes de Tlemcen*, dans la Revue africaine : journal des travaux de la Société historique algérienne, 5 e Année, N0 17, Juin 1859, Constantine a rnolet, imprimeur-libraire, Paris challamel aîné, libraire, 1859, p. 322.
- ¹⁰² جورج مارسي : مدن الفن الشهيرة تلمسان، دار التل، الجزائر، 2004، ص.59.
- ¹⁰³ هو عبارة عن طين مطبوخ في النار، مفردة أجرة، يُعتبر من أبرز المواد التي استخدمت في مجال البناء وكثير استعماله في المناطق التي تقل فيها الحجارة غير أنّ المباني المشيّدة به ضعيفة المقاومة وقصيرة البقاء مقارنة بتلك المبنية بالحجارة. عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية، نشر جرّوس برس، بيروت، 1408هـ/1988م، ص.27.
- ¹⁰⁴ بيرتون بيج : المرجع السابق، ص.50.
- ¹⁰⁵ Stéphane Gsell, op. cit., p.397.
- ¹⁰⁶ وليم وجورج مارسي : المرجع السابق، ص.159.
- ¹⁰⁷ بيرتون بيج : المرجع السابق، ص.37.
- ¹⁰⁸ روبر برنشفيك : المرجع السابق، ج.2، ص.85.
- ¹⁰⁹ جورج مارسي : المرجع السابق، ص.57.
- ¹¹⁰ نفسه.
- ¹¹¹ العمري : المصدر السابق، ج.4، ص.203.
- ¹¹² العمري : المصدر السابق، ج.4، ص.203. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت. 732هـ/1331م): تقويم البلدان، دار السلطانية، باريس، 1815، ص.137.
- ¹¹³ العمري : المصدر السابق، ج.4، ص.206.
- ¹¹⁴ أبو الفداء : المصدر السابق، ص.137.
- ¹¹⁵ العبدري : المصدر السابق، ص.49.
- ¹¹⁶ الوزان، المصدر السابق، ج.2، ص.20.
- ¹¹⁷ عاصم محمد رزق : المرجع السابق، ص.82.
- ¹¹⁸ مارمول كريخال : المصدر السابق، ج.2، ص.299.
- ¹¹⁹ بيرتون بيج : المرجع السابق، ص.50.
- ¹²⁰ أبو الفدا : المصدر السابق، ص.137.
- ¹²¹ مارمول كريخال : المصدر السابق، ج.2، ص.299.
- ¹²² الوزان : المصدر السابق، ج.2، ص.20.
- ¹²³ في هذا الصدد يُورد العمري قوله: "وكان في المدينة (تلمسان) عين ماء لا يقوم بكفائتها، وكان يجري إليها الماء من عين خارجة عن البلد لم يعرف لها [أحد] منبعا أخفيت بكثرة البناء المحكم، ولم يظهر لها على علم إلى أن خرج أحد من يعرفها من البنّائين المختصين بسلطانها الكاشف عنها حين بنائها، فأظهرها للسلطان أبي الحسن وكشف عنها فقطعها عنهم، وأبعدها منهم، وصرفها إلى جهة أخرى ففنعوا بالعين التي في داخل بلدهم". العمري: المصدر السابق، ج.4، ص.205.
- ¹²⁴ ابن الأحمر إسماعيل (ت. 807هـ/1405م) : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، مكتبة الثقافة الدينية، تق. وتغ. وتغ. هاني سلامة، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص.28.
- ¹²⁵ جورج مارسي : المرجع السابق، ص.61.



¹²⁶ أنظر الشكل في الملحق.

¹²⁷ بوطبة محفوظ : المرجع السابق، ص.191.

